الدين الكامل لا يحصل الا بفساد دنياه من حصول ضرر لا يحتمله وفوات منفعة لا
يدفنها لم يقدم على احتمال هذا الضرر ولا تفويت تلك المنفعة فسبحان الله كم صدت هذه
الفتنة كثيرين من الخلق بل اكثرهم عن القيام بحقيقة الدين واصلها ناشئ من جهلين كبيرين
جهل بحقيقة الدين وجهل بحقيقة النعيم الذي هو غاية مطلوب النفوس وكمالها وبه ابتهاجها
والتذاذها فيتولد من بين هذين الجهلين اعراضه عن القيام بحقيقة الدين وعن طلب
حقيقة النعيم ومعلوم ان كمال العبد ان يكون عارفا بالنعيم الذي يطلبه والعمل الذي يوصل
اليه وان يكون مع ذلك فيه ارادة جازمة لذلك العمل ومحبة صادقة لذلك النعيم والا فالعلم با
لمطلوب وطريقه لا يحصله ان لم يقترن بذلك العمل والارادة الجازمة لا توجب وجود المراد
الا اذا لازمها الصبر فصارت سعادة العبد وكمال لذته موقوفا على هذه المقامات الخمس
علمه بالنعيم المطلوب ومحبته له وعلمه بالطريق الموصلة اليه وعمله به وصبره على ذلك
قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر والمقصودان المقدمتين اللتين تنبني عليهما هذه الفتنة اصلهما الجهل
الجهل بالله ودينه وبوعده ووعيده فان العبد اذا اعتقد انه قائم بالدين الحق فقد
اعتقد انه قائم بفعل المامور باطنا وظاهرا وترك المحظور باطنا وظاهرا وهذا من
جهله بالدين الحق وما الله عليه وما هو المراد منه فهو جاهل بحق الله عليه جاهل بما
وعده من الدين قدرا ونوعا وصفة واذا اعتقد ان صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا والاخرة
بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار والمنافقين على المومنين وللفجار الظالمين على
الابرار المتقين فهذا من جهله بوعد الله ووعيده فاما المقام الاول فان العبد كثيرا ما
يترك واجبات لا يعلم بها او لا بوجوبها فيكون مقصرا في العلم وكثيرا ما يتركها بعد العلم
بها وبوجوبها اما كسلا وتهاونا واما لنوع تاويل باطل او تقليد او لظنه انه مشتغل بما
هو اوجب منها او لغير ذلك فواجبات القلوب اشد وجوبا من واجبات الابدان واكد
منها وكثير من واجبات الدين عند كثير من الناس بل هي من باب الفضايل والمستحبات
فتراه يتحرج من ترك واجب من واجبات البدن وقد يترك ما هو من اهم واجبات القلوب
وافرضها ويتحرج من فعل ادنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو اشد
تحريما واعظم اثما بل ما اكثر من يتعبد لله بترك ما اوجب عليه فيتخلا وينقطع عن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته عليه ويزعم انه تقرب الى الله بذلك مجتمع على

ربه تارك ما لا يعنيه فهذا من اعظم الخلق الى الله وابغضهم له مع ظنه انه قايم بحق
الايمان وشرايع الاسلام وانه من خواص اوليايه وحزبه بل ما اكثر من يتعبد لله بما حرم
الله عليه ويعتقد انه طاعة وقربة وحاله في ذلك شر من حال من يعتقد ذلك معصية
واثما كاصحاب السماع الشعري الذي يتقربون به الى الله ويظنون انهم من اولياء الرحمن
وهم في الحقيقة من اولياء الشيطان وما اكثر من يعتقد انه هو المظلوم المحق من كل وجه
ولا يكون الامر كذلك بل يكون معه نوع من الحق ونوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع
من الحق والعدل وحبك الشيء يعمي ويصم والانسان مجبول على حب نفسه فهو لا يرى
الا محاسنها ومبغض لخصمه فهو لا يرى الا مساويه بل قد يشتد حبه لنفسه حتى يرى مساويها
محاسن كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ويشتد بغض خصمه حتى يرى محاسنه
مساوي كما قال نظروا بعين عداوة لو انها عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا
وهذا الجهل مقرون بالهوى والظلم غالبا فان الانسان ظلوم جهول واكثر ديانات
الخلق انما هي عادات اخذوها عن ابائهم واسلافهم وما قلدوهم فيها في الاثبات و
النفي والحب والبغض والموالاة والمعاداة والله سبحانه انما ضمن نصر دينه وحزبه واوليايه
القايمين بدينه علما وعملا لم يضمن نصر الباطل ولو اعتقد صاحبه انه محق وكذلك
العزة والعلو انما هي لاهل الايمان الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه وهو علم وعمل
وحال قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين فللعبد من العلو بحسب ما معه من الايمان
وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين فله من العزة بحسب ما معه من الايمان وحقايقه
فاذا فاته حظه من العلو في العزة في مقابلة ما فاته من حقايق الايمان علما وعملا ظا
هرا وباطنا وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب ايمانه قال تعالى ان الله يدافع عن الذين
امنوا فاذا ضعف الدفع عنه فهو من نقص ايمانه وكذلك الكفاية والحسب في بقدر الايمان
قال تعالى ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين اي الله حسبك وحسب
اي كافيك وكافيهم فكفاية الله لهم بحسب اتباعهم لرسوله وانقيادهم له وطاعتهم له
فما نقص من الايمان عاد بنقصان ذلك كله ومذهب اهل السنة والجماعة ان الايمان
يزيد وينقص وكذلك ولاية الله لعبده هي بحسب ايمانه قال تعالى والله ولي المومنين الله
ولي الذين امنوا وكذلك معيته الخاصة هي لاهل الايمان كما قال تعالى وان الله لمع المحسنين
فاذا نقص الايمان وضعف كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر
حظه من الايمان وكذلك النصر والتاييد الكامل انما هو لاهل الايمان الكامل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)